﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تفصيلُ ما حلَّ بقومِ ثمودَ إثرَ تفصيلِ ما حلَّ بقومِ عادٍ

لمّا تعرَّضتِ الآيةُ السّابقة لتفصيلِ ما وقع لقومِ عادٍ من إرسال الرّيح الصَّرصَر عليهم، فأهلكتهم، وأبادتهم؛ جزاءً على تكذيبِهم المذكورِ واستكبارهم؛ جاءت هذه الآيةُ لِتُفَصِّلَ إعراضَ قومِ ثمودَ وكفرَهم، وما جوزوا به مِن صعقٍ وإهلاكٍ كذلك، فقومُ ثمودَ شركاءُ لقومِ عادٍ في جَحدِ الحقِّ وعدم الإيمان ومعاداةِ المرسَلين وتكذيبهم، وفي كثيرٍ من المواضعِ في الكتاب العزيز يَقرِن اللّهُ تعالى بين قِصَّتَيهِما؛ لأنَّ حالَهما واحدٌ من حيثُ عدم قبولهما الإرشادَ من جانب الله تعالى، وأنَّهما استحبّا العمى على الهدى[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ﴾: (حبب) أصلٌ يدلُّ على تجمُّعِ الدَّقيق أو اللَّطيف مكتنِزًا معًا، فمنه الحُبُّ ضدُّ البغض، فيه معنى التَّجمُّع والتَّلازُم؛ إذ هو تعلُّقُ القلب بما يراه، أو يظنُّه خيرًا، وملازمتُه إيّاه ماديًا أو فكريًّا[2]، وحقيقة الاستحباب: أن يتحرّى الإنسانُ في الشَّيء أن يُحِبَّه، واقتضت تعديتُه بـ(على) معنى الإيثار، كما في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[3]، أي: آثَروه عليه.

2) ﴿ٱلْعَمَىٰ﴾: (عمي) أصلٌ يدلُّ على سَترٍ وتغطية، من ذلك

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 262.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (حبب).
(3) الراغب، المفردات: (حب).

العَمَى: ذهاب البصر من العينين كلتيهما، ولا يقع هذا النَّعت على العين الواحدة[1]، والعمى يُقال في افتقاد البصر والبصيرة، فيُقال في الأوَّل: أعمى، وفي الثّاني: أعمى وعَم، ومعنى قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: اختاروا الضَّلالةَ على الهداية[2].

3) ﴿ٱلْهُونِ﴾: (هون) أصلٌ يدلُّ على سكونٍ أو سكينة أو ذلٍّ، ومن ذلك الهَون: السَّكينة والوقار، قال الله سبحانه: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63]، والهونُ: الهوان، قال ﷻ: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ [النحل: 59][3]، ومعنى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾، أي: العذاب الموصوف بالهون، أي: المُهينُ المُخزي[4].

4) ﴿يَكْسِبُونَ﴾: (كسب) أصلٌ يدلُّ على ابتغاءٍ وطلبٍ وإصابة، ومنه الكَسْب[5]، وهو ما يتحرّاه الإنسان ممّا فيه اجتلابُ نفع، وتحصيل حظٍّ، كَكَسْبِ المال، والكَسْبُ يقال فيما أخذَه لنفسه ولغيره، ولهذا قد يتعدّى إلى مفعولين، فيقال: كَسَبْتُ فلانًا كذا، والاكتِسابُ لا يقال إلّا فيما استفدتَهُ لنفسك، فكلُّ اكتِسابٍ كسب، وليس كلُّ كَسْبٍ اكتسابًا، وقد يُستعمل الكَسْبُ فيما يظنُّ الإنسانُ أنَّه يجلب منفعة، ثمَّ استجلب به مضرَّة، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

العذابُ المُهين جزاءُ مَن يُنكر الحقَّ المستبين

في هذه الآية الكريمة يفصِّل الله تعالى مصيرَ قوم ثمودَ، فيقول: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾، أي: فأرشدناهم إلى الحقِّ بنصب الآيات التَّكوينيَّة، وبيَّنا لهم طريق النَّجاة بإرسال الرُّسل إليهم، وإنزال

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عمي).
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 9.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هون).
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 167.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كسب).
(6) الراغب، المفردات: (كسب).

الآيات الشَّريفة، فالهداية المذكورة هي هدايةُ البيان، وقد تمَّت بِآيَةٍ باهرة، رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت آيةً مبصرة، فلهذا خصَّهم بزيادة البيان والهدى، ولكنَّهم بسبب ظلمهم وشرِّهم استحبّوا الكفرَ والضَّلال على العلم والإيمان، فأخذَتْهُم نارٌ نازلةٌ من السَّماء، كانت لهم عذابًا مُهينًا، فأهلكتهم، وأحرقتهم، وكلُّ ذلك بسبب ظلمهم الدّائم المستمرِّ لأنفسهم، لا ظلمًا من الله لهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصل بالواو:

تشابُهُ حالِ القبيلتين كفرًا بالله، وتكذيبًا بآياته، واستكبارًا على خلقه

أوثِر العطفُ بالواو بين جملتي التَّفصيل، فقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ معطوفٌ على جملة: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؛ لِما بين القصَّتين من تشابُهٍ، من حيث إنَّ كلتا القبيلتين قد كفرت بالله، وعاندت رُسُلَهُ، واستكبرت على الله تعالى وعلى خلقِهِ، فالعطف هنا هو مِن عطف القصَّة على القصَّة؛ لما بينهما من التَّشابُه والاشتراك المذكور.

دلالةُ (أمّا) والفاءِ:

مِن لُطفِ الله بعباده أن بيَّن لهم سببَ إهلاكِ المكذِّبين

(أمّا) في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ حرفُ تفصيل وشرط، فهذه الآية والَّتي قبلها شروعٌ في تفصيلِ مُجمَلِ ما كان في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾ [فصلت: 13 - 14]، وتظهر إفادتُه للشَّرط من جملة الجواب: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾، فالفاء هي الواقعة في جواب (أمّا) التَّفصيليَّة المتضمِّنةِ معنى الشَّرط، والمجيء بأداةِ التَّفصيل المتضمِّنة معنى الشَّرط يدلُّ على مزيد اهتمام المتكلِّم بذلك التَّفصيل، فأفاد تقويَة الكلام والاهتمامَ به؛ للدَّلالة على أَنَّ مضمونَه محقَّقٌ، ولولا ذلك؛ لَما اهتمَّ به[2].

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 746، والهرري، حدائق الروح والريحان: 25/ 326.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 364.

دلالة مادَّةِ فعل الهداية:

إرسـالُ الرُّسُـل من أهـمِّ دعائمِ هـدايـةِ الـدَّلالـة والإرشاد

الهدايةُ المرادة في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ هي هدايةُ الدَّلالة الَّتي تتحقَّق بنَصبِ الحُجَج، وبإرسال الرُّسل[1]، وتأييدِهم بالمعجِزات الباهرات، وهي الهداية الواردة في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: 10]، والمنسوبةُ إلى الأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى: 52]، وليست هي هدايةَ التَّوفيق والمعونة، بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾، ويرى فريقٌ من العلماء أنَّ استخدام الهداية في معنى الدَّلالة والبيان هو من باب المجاز، وأنَّ الحقيقة فيها هو حصول الهداية وتحقُّق وجودها[2]، فيكون لفظُ الهداية في قوله تعالى: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ مُستَعارًا للدَّلالة المجرَّدة؛ تشبيهًا لها بالدَّلالة الحقيقيَّة، من حيث إنَّها مكَّنتهم من الاهتداء، فلم يَبقَ لهم بعدَها عذرٌ ولا عِلَّة، فسُمّيت هدايةً؛ لكونها سببًا موصِلًا إلى الهداية الحقَّة[3]، وفي ذلك جوابٌ لمن يسأل: كيف حُكِم عليهم بالهداية، وهم لم يهتدوا؟

دلالةُ صيغةِ فعل الهداية:

أعظمُ نِعَمِ الله على خلقه بيانُ الطَّريق إليه

عُبِّر عن فعل الهداية بصيغة الماضي في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾؛ لوقوع ذلك الإرشاد والدَّلالة بالفعل، بإرسال الرُّسل، كما دلَّ عليه قولُه تعالى فيما سبق: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وأُسنِد الفعلُ إلى ضمير العَظَمة؛ للإشعار بامتنان الله عليهم بهذه الهداية، وبعظمة ما ساقه اللهُ إليهم من دلائلَ بيِّناتٍ واضحاتٍ، من شأنها أن تَقود الأسوياء إلى الإيمان بالله والاهتداء بهُداه.

---

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 69.

(2) ابن المنير، الانتصاف: 4/ 194، والتفتازاني، حاشية على الكشاف: 6/ 518، والطيبي، فتوح الغيب: 13/ 591.

(3) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 377.

عَودُ ضميرِ المفعول:

ضميرُ المفعولِ في فعل الهداية من قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾، يعود إلى ثمودَ باعتبار القبيلة، وهو مفعولٌ أوَّل، والمفعول الثّاني محذوفٌ، والتَّقدير: (هديناهم إلى طريق الإيمان)، أو (إلى الصِّراط المستقيم)، بحسب ما يُنبئ عنه قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6]، وحُذِف للعلم به.

معنى فاءِ ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ﴾:

من أفعالِهم السَّيِّئة التَّعجُّل وعدمُ الرَّويَّة في إيثار الكفر على الإيمان

الفاء في قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ عاطفةٌ للجملة بعدها على جملة: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾، واختيار الفاء واسطةً لهذا العطف؛ لما تفيده من التَّرتيب والتَّعقيب، والمعنى: (دللّناهم على طرق الإيمان، فسارعوا دون تردُّدٍ إلى اختيار بديله، وهو الكفر والطُّغيان، فلم يمنحوا أنفسهم وقتًا للتَّروّي والتَّفكير؛ ليكون اختيارهم مبنيًّا على تعقُّل وقناعة).

دلالةُ الفِعل (استَحَبّوا) متعدّيًا بـ﴿عَلَى﴾:

اشترَوا الضَّلالةَ بالهدى، فما ربِحَت تجارتُهم، وما كانوا مُهتَدين

فِعلُ الاستحباب في قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ معناه المحبَّة، أي: (أحبّوا العمى)، ومحبَّةُ الشَّيء تُقذَف في النَّفس، ولا تكون بالاختيار، لكن أُسند الفِعلُ إليهم باعتبار اختيارهم واكتسابهم للعمى، والإسناد إلى الكاسب هو إسناد حقيقيٌّ[1]، فالاستحباب هنا متضمِّنٌ معنى التَّفضيل والإيثار والاختيار، أي: (اختاروا الضَّلالة على الهدى)[2]، بدليل اقتران الفعل (استَحبّوا) بالسّين والتّاء المفيدِ للمبالغة - لأنَّ المبالغة في المحبَّة تستلزم التَّفضيل على بقيَّة المحبوبات - وبدليل تعديته بالحرفِ (على)[3].

(1) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 17/ 145.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 71.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 262.

دلالةُ لفظِ ﴿ٱلۡعَمَىٰ﴾ معرَّفًا:

أغرقوا في الضَّلال بكلِّ أنواعِه

يُطلَق العمى على عمى البصر أو البصيرة، وهو في قول الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ مستعارٌ للضَّلال استعارةً تصريحيَّة، ولمّا كان المرادُ هنا الإخبارَ عن كونهم مُغرِقين في الضَّلال بكلِّ أنواعه؛ أوثِر تعريف العمى بـ(أل) الجنسيَّة؛ ليَشمَل كلَّ أنواع الضَّلالِ في الرَّأي.

دلالةُ لفظِ ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ معرَّفًا:

الهدى في الآية طريقٌ واحد، هو طريقُ الإيمان لا غير

المرادُ بالهدى في قول الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ طريقُ الهداية، وهو الإيمان لا غير، فـ(أل) هنا هي العهديَّة، الَّتي لا ينصرِف المعرَّف بها إلّا على معهودٍ بعينه، بخلاف (أل) في كلمة العمى، فهي الجنسيَّة؛ لأنَّ طُرُقَ الضَّلال متشعِّبةٌ متعدِّدة، وطريق الهداية واحد، وهذا من أسرار توحيد النّور وجمع الظُّلمات في مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: 257].

بلاغةُ الاستعارةِ في الجُملة:

الكفرُ ضلالٌ عن القصد، والإيمانُ رشادٌ إلى القصد

في قول الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ استعارتان تصريحيَّتان، شُبِّه في الأولى الكفرُ بالعمى، وفي الثّانية شُبِّه الإيمانُ بالهدى، فوجه التَّشبيه في الاستعارةِ الأولى أنَّ الكافرَ ضالٌّ عن القصد، متعسِّفُ الطَّريق كالأعمى، وفي الثانية أنَّ المؤمن مهتدٍ إلى محجَّة القصد، وسواء السَّبيل، ثمَّ حُذِف المُشبَّهُ في كليهما، وأُثبِت المُشبَّهُ به[1].

بلاغةُ الطِّباق في الآية:

قوبل بين النَّقيضَين للمبالغة في التَّشنيع على سوءِ اختيارهم

بين العمى والهدى في قول الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ طباقٌ معنويٌّ، مبنيٌّ على تأويلِ العمى بالكفر، والهدى

(1) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 544.

بالإيمان؛ ليؤولَ المعنى إلى مقابلة الكفر بالإيمان، وفيه تشنيعٌ عليهم؛ لكونهم آثروا ما يضرُّهم، ولا ينفعهم، وهو الكفر، على ما ينفعهم في العاجل والآجل، وهو الإيمان.

وجهُ التَّعبير بالفعل (أخَذْتهم):

أخَذهم اللهُ بالصّاعقةِ أخْذَ استئصالٍ، فلم يُغادِرْ منهم أحدًا

يدلُّ لفظُ الأخذ على معنى حَوزِ الشَّيء وقهره والاشتداد عليه[1]، ومعناه في قول الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾، (أخذَتْهم أخذًا شديدًا قويًّا شاملًا أخْذَ قَسرٍ وذلٍّ وهوان[2]، لا يفلت منه أحدٌ منهم)، وقد جاء وصف أخْذِ الله تعالى للقرى، وهي ظالمة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: 102]، وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر: 5]، وهي في كلِّها مستعارٌ للإصابة المُهلِكة، ووَجهُ الشَّبهِ بينهما هو الاتِّصالُ بالمُهلَك، والإزالةُ من الحياة، فصار الإهلاكُ كأنَّه أخذٌ باليد[3].

وفي التَّعبير مجازٌ عقليٌّ بإسناد الأخذ إلى الصّاعقة، وإنَّما اللهُ هو أخَذهم بها، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: 102]، وعبَّر عنه بالماضي؛ لكونه قد وقع بالفعل، وبضمير الجمع الَّذي يعود على ثمودَ باعتبار القبيلة؛ لكونه كان عذابَ استئصالٍ لجميعهم.

سرُّ تعريف الصّاعقة بالإضافة:

صاعقةٌ من عذاب الله، وليست من جنسِ الصّواعقِ المعتادة لدى النّاس

عُرِّف لفظُ الصّاعقة في قول الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾، بإضافته إلى العذاب الموصوف بالهون، وهي إضافةُ تعريفٍ، فائدتُها المبالغةُ في بيانِ أنَّ هذه الصّاعقةَ ليست

(1) الراغب، المفردات: (أخذ).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 167.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 263.

ككلِّ الصَّواعقِ المعتادة لدى النّاس، ولكنَّها صاعقةٌ محمَّلةٌ بالعذاب، بل هي صاعقةُ العذابِ المُهين، فإنَّ أصل معنى الإضافة أنَّها بتقدير لام الاختصاص، فالتَّعريف بالإضافة يفيد أنَّ المضافَ لا يُعَرَّف إلّا عن طريق اختصاصه بالمضاف إليه، فهي صاعقةٌ خارقةٌ لمعتاد الصَّواعق، صاعقةٌ مسخَّرة من الله لإهلاك ثمودَ واستئصالهم[1].

ووجهٌ آخرُ لإفادة هذه الإضافةِ المبالغةَ في شِدَّة وقعِ الصّاعقة وقوَّتِها: أنَّها إضافةُ نوعٍ إلى جنسٍ، بتقدير (مِن)، والمعنى: (فأخذتهم صاعقةٌ من جنس العذاب البالغِ في الإهانة به)[2]، فهي صاعقةٌ ليست من جنس الظّواهر الطَّبيعيَّة الَّتي اعتادَتْها النّاس، وعرفوها، بل صاعقةٌ من جنس عذابِ العزيزِ الجبّارِ المتكبِّرِ، الَّذي يَنتقِم به من المجرمين، ويُهين به المستكبرين.

بلاغةُ وصفِ العذاب بالهون:

هو عـذابٌ بالغُ الإهانـة، شديدُ الإخزاء لكلِّ من أُخِذَ به

وُصِفَ العذابُ بالهون في قول الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾، وهو من النَّعت بالمصدر، فالهون مصدرٌ بمعنى الهوان، وهذا الوصف إمّا بحذفِ مضافٍ، والمعنى: (صاعقةُ العذابِ ذي الهونِ)، أو من باب الوصف بالمصدر للمبالغة[3]، وفيه مجاز عقليٌّ بوصف العذاب نفسِه بالهوان، وإنَّما هو وصفٌ للمعذَّبين به، لكنَّ العذاب لمّا كان سببًا للهوان، وكان من شدَّة اتِّصافِه بالإهانة؛ صارَ كأنَّه هو نفسُ الهون والذُّلِّ والحقارة.

دلالةُ التَّركيبِ:

أُهـلِـكـت عـادٌ بالطّاغية

حصلتِ المبالغةُ في شدَّة الإهلاك وتمام الاستئصال وبالغ الإهانة في قول الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ بعدَّةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 263.
(2) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 377.
(3) الشنقيطي، أضواء البيان: 7/ 139.

عواملَ، منها: اختيار مادَّة الأخذ، واستعارةُ لفظِ الصّاعقة للعذاب، وإضافةُ الصّاعقة إلى العذاب، ووصفُ العذاب بالهون[1].

معنى الباء:

الباء الدّاخلةُ على (ما) في قول الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ هي باء السَّببيَّة، أي: (نالهم ما نالهم مِنَ العذاب المهين؛ بسبب كَسبِهم واختيارِهمُ الضَّلالَ، مُؤثِرين إيّاه على الهدى).

دلالةُ الفعلِ ﴿كَانُوا۟﴾:

دلَّ إقحامُ فعلِ الكَينونة في قول الله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ على أنَّ كَسبَهم الضَّلالَ إنَّما هو طَبعٌ فيهم لا يفارقهم، وسجيَّة راسخةٌ لا تنقطع عنهم، ودلَّ جمعُ الفاعلين، بإسناد الفعلِ إلى ضمير الجمع المتَّصِلِ العائد على قومِ ثمودَ، على أنَّ هذا الطَّبعَ هو طبعُهم جميعًا، فلذلك استَحقّوا به، وبما نتج عنه من الكفر والفسوق أن أُخِذوا بالعذاب المُهين.

الضَّلالُ خُلَّةٌ فيهم لا تفارقهم

وَجهُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿يَكْسِبُونَ﴾:

يُطلَق لفظ الكَسْب على كلِّ ما يتحرّاه المرء ممّا فيه اجتلابُ نفع، ككسب المال ونحوه[2]، ويُطلق تهكُّمًا على ما يحصله الإنسان ممّا فيه مضرَّة لا نفع؛ مراعاةً لكون الأصل أنَّ الإنسان لا يفعل إلّا ما يجلب له نفعًا، ويكسب به مصلحة، لكن أن يتحرّى مواضعَ الضَّرر ومحالَّه، فهذا ما لا يليق فعلُه بالعاقل، فإطلاق الكسب على ضلالهم في قول الله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ هو من باب التَّهكُّم بهم، وفي التَّعبير عن الكسب بصيغة المضارع دلالةٌ على تجدُّد كسبهم وتكراره، وفي إسناد الكسب إلى ضمير الجمع المتَّصل دلالةٌ على أنَّ ذلك شأنُهم جميعًا.

حِرصُ الإنسان وتحرّيهِ مواقعَ الضَّرر إخلالٌ بقيمة العقل الَّذي ميَّزه الله به

(1) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 377.
(2) الراغب، المفردات: (كسب).

نكتةُ حذفِ متعلِّق الفعل:

جميعُ أعمالِهم السَّيِّئةِ كانت سببًا لأخذهم بالعذاب المُهلِك

حُذِف متعلِّقُ فعلِ الكَسبِ في قول الله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ اختصارًا للعلم به؛ إذِ المقصود ما يكسبونه من الكفر والضَّلال والأعمال السَّيِّئة المتولِّدة عنهما، وحذْفُه أدعى لإطلاقِ محتملات الكسب العديدة.

سرُّ الاكتفاءِ بذكر العذابِ الدُّنيَويِّ:

تماثَلت عادٌ وثمودُ في الكفر والعذاب

اكتفتِ الآيةُ الكريمة في الإخبار عن عذابِ قومِ ثمودَ بما حاقَ بهم في الدُّنيا: ﴿فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ﴾، دون التَّعرُّضِ لذكر ما ينتظرهم من عذاب الآخرة، كما ذكر ذلك مع قومِ عادٍ، وذلك من باب مُحَسِّنِ الاكتفاء، فإنَّه اكتُفِيَ بالنَّصِّ عليه في خبرِ قومِ عاد، في قوله سبحانه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾، الَّذي يدلُّ على أنَّ لثمودَ أيضًا عذابًا في الآخرة، لتماثُلِ الأمَّتين في الكفرِ سببِ العذاب المُخزي المؤبَّد، والاكتفاءُ مُحَسِّنٌ يرجع إلى الإيجاز[1].

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

الهدايةُ والإرشاد:

أحقِّيَّةُ الله تعالى بالعبادة مثبَتةٌ بالبراهينِ الدّالَّة والمُرشِدة

أصل معنى الهداية الدَّلالة بلطف، وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه: الهداية الَّتي عمَّ بجنسها كلَّ مكلَّفٍ من العقل، والفطنة، والمعارف الضَّروريَّة، والهداية الَّتي جَعل للنّاس بدعائه إيّاهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك - وهذان النّوعان هما من هداية الدَّلالة والإرشاد - وهداية التَّوفيق الَّذي يختصُّ به من اهتدى، والهداية في الآخرة إلى الجنَّة[2]، وهذان النَّوعان هما من هداية المعونة والتَّوفيق.

وأمّا الرَّشَدُ والرُّشْدُ؛ فيُستَعمل استعمالَ الهداية، وهو خلاف

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 263.
(2) الراغب، المفردات: (هدى).

الغيِّ، قال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: 256][1]، والإرشاد إلى الشَّيء هو التَّطريق إليه والتَّبيين له، فهو من هداية الدَّلالة؛ أمّا الهداية في أصلها؛ فهي التَّمكُّن من الوصول إليه، على سبيل الحقيقة[2]، فكلُّ إرشادٍ هدايةٌ، وليس كلُّ هدايةٍ إرشادًا.

وعُبِّر في الآية الكريمة بلفظ الهداية على إرادة معناها الموازي لمعنى الإرشاد، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾، أي: دللَّناهم، وأرشدناهم بما نصبناه لهم من الأدلَّة والحجج على أحقّيَّته سبحانه وحدَه بالعبادة دون سواه، وبإرسال الرُّسل وما أنزلناه معهم من الآيات التَّنزيليَّة، فهذه المعاني جميعُها تتجاوز حدودَ الإرشاد، ولا تبلغ حدود حصول الهداية الحقيقيَّة، فهي في منزلة بينهما؛ وذلك أنَّه لمّا كانت لكثرتها ولوضوحها دافعةً إلى الإيمان والاهتداء؛ أوثِر التَّعبيرُ عنها بالهداية دون الإرشاد.

(1) الراغب، المفردات: (رشد).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 42.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"